شكولاطة

اشتريت لوح الشوكولاتة، و أخذت الصرف. وضعت الصرف فِي جيب السروال، و لوح الشوكولاتة فِي جيب السترة، و انحدرت إلَى شارع محمد الخامس لآخذ الطاكسي الكبير إلَى الحي.

كَانَ ينبغي أن أبقى عَلَى الرصيف الأيمن حَتَّى الضوء. ثُمَّ اقطع معبر المشاة للانعطاف إلَى اليسار. و لَكِنّي بادرت بالانتقال إلَى الرصيف الأيسر مباشرة، معرضا نفسي – كالعادة -للاصطدام بالسيارات العابرة.

مسألة أعصاب غَالِبًا – حين يكون علي أن أقوم بعمل مَا، فإنني أحاول إنجازه بسرعة – و حَتَّى قبل وقته – لأرتاح، و أتفرغ لـ... فراغي و سرحاني (ذهني كالماء، لا يستقر. و مَا أن يجد من الواقع الحاضر مسربا حَتَّى يسبح فِي الأحلام [...] أعصاب غَالِبًا. أَوْ نقطة من نقاط ضعفي الكثيرة و المتزايدة. غير أن الشوكولاتة هِيَ نقطة ضعفي الكبرى، و لَا شَكَّ أن من المخجل لرجل مثلي فِي سن الأربعين، متزوج و لَهُ ثلاثة أبناء، أكبرهم فِي الخَامِسَة عشرة، أن يشتري شوكولاتة، و يختفي بِهَا، فِي التواليت مثلا، و يقضمها، و ذهنه سارح فِي الغروب، فِي غروب قديم رآه و هُوَ طفل (حين نحس بِأَنَّ الغبار يهبط إلَى الأرض بالتدريج، و الضجة تتخافت، و النهار يتنهد و الأفق البعيد الأحمر يكشكش كالجمر المرشوش بالماء) ماء – ماء- كَانَ الخروف يقول، و كُنْت متفقا مَعَهُ حينها. أَمَّا الآن، فَلَمْ أعد خروفا، و لَمْ أعد متفقا، و مَعَ ذَلِكَ، فقد اشتريت شوكولاتة. و حين أنزل من الطاكسي سيكون الناس أقل فِي الشوارع، وسيتاح لِي أن أقضمها بحرية، و أنا أقطع الباقي من الطريق إلَى البيت.

كلب – أغبر أشهب ضامر البطن، و قوائمه تقلقل هيكله الهزيل و هِيَ ترتفع، كأنما يمارس رياضة، أنفه فِي الأرض، و عيناه ..- لابد .. حمراوان. لا أستطيع تخيل كلب لَهُ عينان غير حمراوين. لا أدري لِمَاذَا ؟ بَلْ إن لفظة "كلب" نفسها حمراء فِي تصوري.. لعله الدم : دمي أنا الَّذِي ياما سال فِي صغري و أنا أجري و أسنان الكلاب الحادة تنهش أعقابي، و أنا أجري و أصرخ ملقيا بِمَا فِي يدي من الحجارة، و مَا فِي رأسي من وصية أمي بِأَنَّ أقف و أثبت، و أنني إذَا جريت فسأغري الكلب بالجري ورائي، و أن الكلب جبان لَا يعض إلَّا الجبان، و أن .. مَا الفائدة ؟ لَقَدْ كُنْت – لَا أزال – أعاني عقدة من الكلاب لَا تحلها الوصايا. الحل الأفضل هُوَ أن أنتقل إلَى الرصيف الآخر، و أترك للكلب – حَتَّى يترك لِي الكلب – المرور فِي سلام.
(و لكن يا أمي، لِمَاذَا أنا، وحدي من دون الناس، أخاف من الكلاب ؟)
لِأَنَّ أول صوت سمعته هُوَ نباحها، إذْ لَمْ تنقطع ليلة ولدتك عَنْ النباح. خرجت خالتك عدة مرات فِي الظلام لترى من القادم، و لكنها لَمْ تكن تجد أحدا. فَقَطْ الكلاب – كلابنا و كلاب الجيران -تنبح و تنبح و تنبح. لَمْ تسكت إلَّا مَعَ الفجر حين صرخت بَيْنَ يدي القابلة. كَانَت تنبحك أنت – و أنت كُنْت القادم).

حين وَصَلْتُ إلَى شارع محمد الخامس، أَمَامَ المارشي سانترال، كَانَت الطاكسي عَلَى أهبة الإقلاع. نبحني "الكورتيي"(1)، فأشرت برأسي أن نعم، و انحشرت بَيْنَ الركاب : أسرة من الضجيج و الصخب و الحركة و الغوات (2)، الأب و الأم- لابد أنهما الأب و الأم -اثنان. أَمَّا الأطفال فَلَمْ أستطع عدهم كلهم صغار : بَيْنَ رضيع لَا يكف عَنْ الصياح و أطفال السنتين و الأربع و الخمس سنوات. و كل طفل يتعدد، بلسانه النشط و أعضائه الحرة المقتحمة، فيصيح -وحده – عدة أطفال. و أنا قابع فِي هامشي الضيق أحاول إغماض أذني بفتح عيني عَلَى محكمة الاستئناف فِي الخارج، لولا أَنَّهَا تسرع إلَى الوراء، عَلَى الأشجار-إلَى الوراء، السيارات– إلَى الوراء، محطة القطار- إلَى الوراء، (الشوكولاطة- شوكولاطة-) و انتبهت فزعا. فرأيت لوح الشوكولاتة بغلافه الذهبي تتخاطفه الأيدي الصغيرة النشطة- جيب سترتي الأيسر-؟ الفراغ.

الأب و الأم مشغولان بالرضيع، السائق بالطريق، الأطفال يمزقون الغلاف، و يتناهبون الشوكولاط بأسنانهم الحادة فِي تحفز حيواني نهم، و أنا أغمض عيني، و ألقي برأسي إلَى الوراء كالمنتحر-كالمستسلم للنحر، لَا أحد ينتحر، و لكنه الاستسلام بعد اليأس، و إلَّا ماذا يمكن أن يعمله الواحد فِي هَذِهِ الحالة ؟ (مجرد رملة) منحدر من الأرض مرمل، فِي أعلاه شجرة التين، وَفِي أسفله عين الماء. و لكن أبي ضربني هَذَا الصباح، و أنا خرجت إلَى الرملة، و ركبت الصبارة، كَمَا كنا نفعل مَعًا، أنا و أختي الَّتِي ماتت قبل شهر، و بدأت أتسرسب عَلَى الرمل. و لكن فِي بطء، إذْ لَا أحد معي، حَتَّى أنني وقفت فِي منتصف المنحدر، و بدأت أنظر إلَى حبات الرمل كأنما أراها لأول مرة : دقيقة و صلبة، و متنوعة، و أنا الَّذِي كُنْت أعتقد أَنَّهَا متشابهة، حبات زرقاء... صفراء... سوداء... لامعة. صغيرة جدا و صغيرة و كبيرة بعض الشيء. و تعيش بينها و مَعَهَا أمم أُخْرَى من دقاق أوراق الشجر و أعواد التبن و فضلات البغال و الحصى و الكاغط و المساك : (مساك) صغير جدا و جميل جدا و سلكه أليف جدا. كَانَ مساكها الَّذِي تعلق بِهِ بنيقة قشابتها الصفراء، وَالَّذِي بحث عَنْهُ طويلا قبل تموت، دون جدوى)

نزلت من السياره في المحطة الأخيرة، وتابعتُ طريقي المظلمَ والخَالي نحو البيت... فوجدتُ نفسي في ساحة ضيقة لا أعرفها، تحيط بها العماراتُ من كل الجهات.

أحمد بوزفور ((صياد النعام)) قصص (بتصرف) منشورات نجمة – يناير 1993 – ص 73 – 77.

عتبات القراءة

ملاحظة مؤشرات النص الخارجية

- الصورة: تجسد ظاهرة سكانية بالمدينة تعرف بالازدحام والاكتظاظ فيما يخص الساكنة أو وسائل تنقلها.
- مجال النص: سكاني.
- نوعية النص: مقالة تفسيرية..
- العنوان تركيبيا: اسم مفرد مؤنث. ودلاليا: اسم حلوى مادتها الأساس هي "الشكولا".
- بداية النص: تؤشر على وضعية بداية القصة :شراء الشكولاطة والتفكير في العودة غلى البيت.
- نهاية النص: ضياع السارد في شوارع المدينة بعد ضياع الشكولاطة.

بناء فرضية القراءة

انطلاقا من الصورة والعنوان وبداية النص ونهايته نفترض أن موضوعه يتناول السارد والشكولاطة.

القراءة التوجيهية

شرح المستغلقات

- يقضم: يأكل.
- الإقلاع: الانطلاق.
- الصخب: الضجيج.
- فزعا: خائفا.
- ضامر: نحيف، هزيل.

الفكرة العامة

قصة الراوي والشكولاطة وفشله في تحقيق رغبة أكلها والاستمتاع بلدتها بعد معاناة في الحصول عليها بالمدينة.

القراءة التحليلية

معجم المدينة

شارع محمد الخامس - سيارة الأجرة الكبيرة - الحي - الرصيف - الضوء - معبر المشاة - السيارات - الشارع - السوق المركزي - الضجيج - الصخب - الحركة - محطة القطار - المحطة - العمارات...

مضامين النص

- شراء الشكولاطة ووضعها في الجيب.
- البحث عن فرصة لأكل الشكولاطة بعيدا عن أنظار الناس.
- استسلام الراوي بعدما أكل الأطفال الشكولاطة.

عناصر السرد

الزمان

طيلة النهار

المكان

المدينة - شارع محمد الخامس - الحي - سيارة الأجرة.

الشخصيات

- السارد: عمره أربعين سنة - متزوج - أب لثلاثة اطفال - يخاف الكلاب.
- الأسرة المرافقة للسارد في سيارة الأجرة،و تتكون من: الأب والأم وهما منشغلان بالرضيع. - الأطفال:الرضيع وطفل السنتين والأربع أو الخمس سنوات،احدثوا ضجيجا وصخبا في سيارة االأجرة، بل الأكثر من دلك حرموا السارد من الشكولاطة بعد ان التهموها أمام أعينه دون رد فعل.

الأحداث

- شراء الشكولاطة.
- التوجه نحو محطة سيارة الأجرة الكبيرة,
- ازدحام طريق السارد وتأثير ذلك على حالته النفسية.
- الوصول غلى محطة سيارة الأجرة وركوبها.
- تفاجؤ السارد بحالة الفوضى بالسيارة من قبل أطفال الأسرة المرافقة له.
- تجرؤ الأطفال على التهام شكولاطة السارد دون أن يبدي مفاومة.
- تأزم نفسية السارد بعد ضياع شكولاطته أمام أعينه.

أسلوب النص

زاوج الكاتب في مقالته بين السرد والوصف:

- السرد: سرد أحاث ووقائع قصته مع الشكولاطة من لحظة شرائها إلى لحظة ضياعها بعد أن التهمها الأطفال وضياعه هو الآخر في شوارع المدينة.
- الوصف: وصف المدينة وأجواء الحركة والضجيج والصخب التي تميزها، ووصف الحالة النفسية التي عاشها السارد في ظل هذه الأجواء والفترة الزمنية التي قضاها في سيارة الأجرة التي فقد فيها الشكولاطة ،ثم وصف الحالة الأطفال في السيارة.

تركيب النص

يسرد الكاتب قصته العجيبة مع الشكولاطة التي شكلت نقطة ضعفه،خرج لشرائها،و بعد أن حصل عليها أراد العودة إلى بيته، وفي طريقه عانى كثيرا من الازدحام والضجيج ،قبل أن يركب سيارة الأجرة الكبيرة ،و هنا وقع ما لم يكن في الحسبان حيث صادف ركوبه وجود أسرة كثيرة الأطفال تتحركون داخل السيارة في فوضى ،و في هذه الأجواء التهم الأطفال شكولاطته أمام أعينه دون رد فعل ،فضاعت عليه فرصة الاستمتاع بلذتها.